أمل في غير موضعه

الأخ أبو حفص

(لقد كان هذا موقعاً من مواقع الجيش الأردني) قالها لعدد من السائحين اصطحبوه يدلهم علـــى معـــالم المدينـــة المقدسة بعد الاحتلال بقليل مقابل دريهمات ..

(إنني أذكر جيداً ، قبل المعركة بقليل ، إذ اجتاحت الضفةَ الغربية المظاهرات وعمت مـــدن القـــدس ونـــابلس والخليل ، و لم يعد للهدوء وجود إلاّ على صفحات المجلات ، ومن هذا الموقع أُطلق الرصاص على أبناء الشعب المحروم حتى من التعبير عن رأيه بحرية .. وسقط عدد من الشهداء)

وقطع حديثَ صاحبنا ضجة في أعلى الموقع ، ولكنه تمالك أعصابه وواصل حديثه لمرافقيه بهدوء ، إلى أن أطلعهم على الموقع ونجح في صرفهم عن موضع الضجة وواصل جولته معهم ثم أخذ أجره وانصرف مفكراً في الأمر

توجه إلى الموقع وحاول الصعود ، فسمع ضجة كالمرة الأولى ، ومضى نحو مصدرها فوجد باباً حديدياً ففتحه ، فإذا بمدرج حلزوني ينـــزل إلى أسفل ، وحاول الهبوط إلاّ أن الظلام كان يخيم على المكان بعد بـــضع درجـــات .. فازدادت ضربات قلبه ومسح العرق عن جبينه وقفل راجعاً وقد تملكه شيء من الخوف . راقب المكان مـــن بعيـــد ولكنه لم يفلح في اكتشاف السرّ ، ثم عاد إلى الحيّ مهموماً بعد أن حان وقت منع التجول

وجلس ليلاً مع شباب الحي كعادته ، إلاّ أنه كان يحمل إليهم شيئاً جديداً ؛ أمر الموقع .. وتم القـــرار بينـــهم أن يحلّوا لغزه

تشكلت مجموعة البحث من شباب الحي ، فتوزع عدد منهم لمراقبة دوريات العدو وحمل اثنان مشعلاً أوقـــداه ، ونزلا المدرج ، كلما نزلا درجة ازدادت رطوبة الجو ووحشته وتصاعدت ضربات قلبيهما ، وعندما وصلا إلى نهايـــة المكان تعرضّا لهجوم مباغت كانت نتيجته أن شلّت حركتهما ووقعا أسيرين في أيدي مجموعة من الرجال لا يعرفـــان هويتهم ، وسمعا لساناً عربياً يقول : (من أنتم ؟)

– نحن من أبناء هذا الحي ، جاء بنا حب الاستطلاع إلى هذا المكان ، ومن أنتم ؟

– جنود حصرنا العدو و لم يكن أمامنا مجال للهروب فاختبأنا هنا

– ولكن إلى متى ؟

– لا تسلني إلى متى ، إننا نبحث عن طريق للخلاص وبأقصى سرعة ممكنة ، وتنقصنا الثياب فلـــيس لـــدينا إلاّ الملابس العسكرية

– وماذا تصنعون إذا وجدتم الملابس ؟

– سيتجه كل منا إلى بلدته

– ليت الأمر بهذه السهولة ، إن منع التجول مفروضٌ على البلاد ، ولا يُرفَع إلاّ لسويعاتٍ قليلة ، ولا نـــستطيع اليوم أن ندبر هذا الأمر فعليكم بالانتظار حتى غد ، فنوفر لكم الثياب والملجأ الآمن إن شاء الله ، وكل ما نستطيع أن نفعله اليوم أن نحضر لكم طعاماً طازجاً ، إنكم بالتأكيد لم تذوقوه منذ أيام إنْ لم يكن منذ أسابيع

واجتمع الشباب ليلاً كعادتهم ، وقد أحضر كل منهم ملابس تكفي لشخص أو أكثر وتمّ توزيع الجنـــود علـــى بعض عائلات الحيّ ، كل جندي في عائلة إلى أن يجعل الله له سبيلا .. وتمّ تنفيذ الخطة في اليوم التالي ، وقد رأيـــت الشباب يتسامرون مع الجنود في المساء

– إلى متى كنتم تودّون المكث في ذلك المكان ؟ ألم تفكروا بالمواد الغذائية ؟ ألم تفكروا بـــالأمراض الـــتي قـــد تصيبكم في ذلك الجو ؟

– كان عندنا من المواد التموينية ما يكفي لأيام قليلة أخر ، ومن ناحية الجو كنا نتنـــاوب الـــصعود إلى ضـــوء الشمس وحرارتها ، والماء متوفر في نبع صغير في باطن الملجأ .. كنا نظنّ أنها أيام معدودة وسيكون خلفهـــا هجـــوم معاكس لاسترداد الأرض ، لقد كان هذا أملنا وما فكرنا بغيره

– لقد كنت أفكر ونحن نعمل لإنقاذكم مما أنتم فيه : هؤلاء هم الذين شاركوا في إطلاق النار علـــى إخواننـــا المتظاهرين .. واليوم نخرجهم من الكرب الذي أصابهم ، وإنني أعلم علم اليقين أنهم أخطؤوا في تنفيذ الأوامر بإطلاق النار على إخوانهم وآبائهم وأبنائهم ، والآن أرى خطأكم أكبر إذ بقيت ثقتكم بِمَنْ أمركم بذلك ثقة قوية ، وبقـــي أملكم بهم كبيراً بعد أن ظهرت نتيجته ! .. نحن لا نستغرب أن يحتل اليهود فلسطين ، ولكن نستغرب الاعتقاد بـــأن يحمي فلسطين من ساوم على رقاب شعب فلسطين ، لا نستغرب احتلال اليهود لفلسطين ، ولكننا نستغرب الظن أن يعيد فلسطين من باع دينه واتبع كل شيطان مريد ، لقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فسلّط الله اليهود علـــيهم ، وحينما نعود إلى كتاب الله ستعود فلسطين إلى حظيرتنا بإذنه ، وسيتحقق وعد الرسول ﷺ لنا : « **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ**

أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُود » الحديث رقـــم 2025 في (مختصر صحيح مسلم)

حينما يصبح المسلمون مسلمين حقاً يتحقق هذا الوعد ، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون